معجم القرن العشرين العربي

للدكتور عدنان الخطيب

القرن ماض وانقضى معظمه فهل يرى كوعدهم ، معجمه ؟

إذا تفاخرت اللغى كل بمعجمها ، فالفخر كل الفخر لأمها الضاد ، إذ لم يعرف العالم أمة كالعرب فاقوا سائر الأمم عناية بلغتهم ، وسعيا فى جمعها وتدوينها وبحثا فى مفرداتها وتعقبا لدلالة الحرف الواحد من حروفها بحسب موقعه من اللفظ الواحد .

يعترف بهذه الحقيقة المستعرب جون أ . هيوود كبير أساتذة الدراسات العربية فى جامعة درهام الإنكليزية فى كتابه « صناعة المعاجم فى العربية » (١) أو إذا صح التعبير «معجمة اللغة عند العرب » إذا يقول « . . . وكان لدى العرب معجم شامل هو (لسان العرب) كانت دونه دقة وشمولا معاجم سائر اللغات قبل القرن التاسع عشر» .

فكيف يكون الفخر بالمعجم العربى إذا ما أضفنا إلى اللسان : التهذيب والصحاح و المقاييس والأساس والقاموس وتاج العروس الذى كان من نتاج القـرن الثامن عشر الميلادى .

هذا ما كان عليه المعجم العربى، يوم هلّ القرن التاسع عشر ، غير أن معاجم لغات الغرب أخذت تواكب نهضته العلمية وحضارته المادية لتفى بمتطلبات النهضة والحضارة ، فماذا صنع العرب بمعجمهم الموروث للحاق بمعاجم لغات الأمم المتمدينة ؟

لقد بدأ القرن التاسع عشر والعرب متقوقعين على أنفسهم فى ظل حكم يحاول اللحاق بموكب الحضارة الغربية، يعثر خطواته التخلف المستشرى فى إدارته وطبقات شعوبه المتعددة ، حتى إذا ما غزا نابوليون مصر وقام فيها حكم محمد علي وأسرته، وهجمت الإرساليات التبشيرية على بلاد الشام، وأخذت تتنافس فيما بينها، استفاق العرب من سباتهم وظهرت بوادر الصحوة فيهم مبشرة بوثبة معجمية رائعة . وما دخل القرن العشرون

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثالثة من العيد الخمسينى

(١) انظر Arabic Lexicography, JOHN A. HAYWOOD Leiden E. J Brill

إلا وآتت جهود العلماء ثمارها فظهرت المعاجم تترى ، وفى كل منها جهد يشكر عليه صاحبه، وليس مقامنا مقام تعداد تلك المعجمات أو الحديث عن مزايا كل واحد منها وعيوبه ، على أننا نستطيع الجزم بأنه لم يكن بينها المعجم العربى المنشود .

وتعدد علماء العربية المشتغلون بالمعجم العربى ، وتعددت المؤسسات التى تساهم فى ذلك ، وكان فى طليعتها مجمع اللغة العربية فى مصر الذى نحتفل اليوم بعيده الذهبى ،فإليه تزجى التهانى وعليه تعقد الآمال لتحقيق الوصول بمعجمه الوسيط إلى مصاف معاجم اللغات العالمية .

لقد وضع المجمع نصب عينيه ، منذ تأسيسه هدفا ، عمل جاهدا لتحقيقه هو تجديد المعجم العربى، فلما كانت سنة ١٩٦٠ صدرت عنه الطبعة الأولى من المعجم الوسيط وقد تهيأ له ما لم يتهيأ لغيره من وسائل التجديد، واجتمع فيه ما لم يجتمع فى غيره من خصائص ومزايا (على حد قوله فى المقدمة) ولكنه فى الحقيقة لم يكن المعجم المنشود وإنما كان خطوة هامة باتجاهه إذ ظهرت فيه أخطاء وعيوب عديدة ، حملت المجمع على إصلاحها أو تجنبها ما استطاع خلال عشر سنوات أو تزيد ، فلما كانت سنة ١٩٧٢ ظهرت الطبعة الثانية من الوسيط بعد أن أعادت لجنة المجمع قراءة الطبعة الأولى من المعجم مادة مادة مرددة فيها نظرات فحص وتمحيص ، فتتبعت ما ترك المعجم من بعض الألفاظ أو فروع المعانى لتزوده منها بما يسوغ ، وتحرت فى مراجعة الشروح والتفسيرات أن تجعل عباراتها أيسر منالا وأقرب إلى دقة وإحكام . . . وأضافت إلى المعجم طائفة كبيرة من أمهات المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة التى أقرها المجمع كما تقول اللجنة المجمعية .

وكان المعجم الوسيط فى طبعته الثانية خطوة جديدة عظيمة نحو المعجم المنشود، ولكنه لم يكن إياه .

أنا لا أريد تعداد عيوب الطبعة الثانية من الوسيط التى حالت دون أن يكون المعجم المبتغى ، غير أنى أحب وضع معالم فى الطريق إليه ، وحسبى أن أذكر مثالا واحدا ثم أبين ما أرى ضرورة الالتزام به لتثمر الجهود المبذولة فى إعداد الطبعة الثالثة المثمرة الطيبة المرجوة .

سبق أن حاولت بعد صدور الطبعة الأولى من المعجم الوسيط إبداء بعض الآراء فيها وبثثت تلك الآراء فى كتابين طبع أحدهما فى دمشق(١) والآخر فى القاهرة(٢) وهاكم قصة رأى منها :

للحنف فى العربية معان كثيرة رددتها كل المعجمات، وعلماء اللغة مختلفون على المعنى الأصيل للحنف ، ويمكن القول بأن آراهم المتضاربة تندرج فى ثلاث زمر هى :

أولا : يقول عدد كبير من علماء اللغة بأن المعنى الأصيل للحنف : الميل والاعوجاج والحنيف من مال عن الضلالة فترك الشرك إلى التوحيد ، ومن القائلين بهذا ابن فارس وابن سيده والزمخشرى والفيومى .

ثانيا : تقول طائفة من العلماء بأن لفظة الحنف من الأضداد فهى تعنى الاعوجاج والميل تارة ، وتعنى الاستقامة تارة أخرى وفى طليعة القائلين بهذا الرأى الفيروز ابادى وأخذ بهذا الرأى معدلا معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى صنعه مجمع اللغة العربية بمصر ، فقال : حنف : مال ، ولما لم يجد فى ألفاظ القرآن الكريم إلا معنى واحداً قال : والحنيف : المخلص الذى أسلم لأمر الله فلم يلتو فى شىء من دينه .

ثالثا : هناك من يقول بأن المعنى الأصيل للحنف : الاستقامة ، وأثبت هذا الرأى صاحب اللسان فقال : قال ابن عرفة فى قوله عز وجل (بل ملة إبراهيم حنيفا) قد قيل إن الحنف : الاستقامة وإنما قيل للمائل الرجل أحنف ، تفاؤلا بالاستقامة ، وقال أبو زيد : الحنيف : المستقيم وأنشد :

تعلم أن سيهديكم إلينا   طريق لايجور بكم حنيف

وعلق صاحب التاج على قول ابن عرفة قائلا : قلت وهو معنى صحيح وكان المعجم الوسيط فى طبعته الأولى قد أخذ بالرأى الأول مثبتا فى مستهل تعريفه للحنف أشد حالات الاعوجاج فقال : « حنف الرجل حنفا : اعوجت قدمه فصار ظهرها بطنها حلقة » وكنت فصلت الكلام عن كل هذا فى نقدى للطبعة الأولى من الوسيط فلما صدرت الطبعة الثانية ظل الاعتماد فيها على الرأى الأول غير أنها تلطفت فى وصف الحنف فقالت : حنف الرجل : اعوجت قدمه إلى الداخل ، مبقية فى التعريف قول أبى البقاء فى الكليات (وهو من علماء القرن السابع عشر الميلادى) إذ قال : إذا

---

(١) المعجم العربى ونظرات فى المعجم الوسيط من مطبوعات المجمع العلمى العربى دمشق ١٩٦٥ .
(٢) المعجم العربى بين الماضى والحاضر من مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية .

ذكر الحنيف مع المسلم فهو الحاج ، كقوله تعالى : «ولكن كان حنيفا مسلما » . وإذا ذكر وحده فهو المسلم كقوله تعالى :

« فأقم وجهك للدين حنيفا » فهل ماذكره أبو البقاء من المعانى الأصيلة للمادة لغوية ؟ إنه بأقوال المفسرين أشبه

سقت قصة مادة (حنف) فى طبعتى المعجم الوسيط لأقول : إن المعجم العربى ليكون معجم القرن العشرين لابد له من مبادئ يلتزم بها وأساليب يتبعها ، وسأحاول تعداد أهمها فيما يلى :

أولا : الانتقاء ، فليس كل ماورد فى المعجمات القديمة ، يصلح للحشر فى معجم القرن العشرين ، كما هى الخطة المتبعة فى المعجم الكبير ، ويجب أن يلاحظ عند الانتقاء وضوح المعنى وأصالته ، وسهولة الألفاظ وأنسها ، لتواكب لغة المعجم مسيرة الحياة الحضارية المعاصرة ، يستبعد منها الحوشى والغريب ، وتسقط الأساطير والأقوال الضعيفة التى تناقلتها بعض المعاجم وتحذف التعريفات المنافية للعلم المحقق .

ثانيا : الالتزام بمقررات مجمع اللغة العربية المتعلقة ببناء المعجم العربى ، وفى طليعتها قراره إكمال المادة اللغوية إذا لم يرد بعض مشتقاتها فى المعجمات القديمة ، مادام يجرى على سنن العربية وقواعدها الأصيلة وكانت الحياة المعاصرة بحاجة إليه .

ثالثا : الامتناع عن إثبات أى كلمة فى المعجم إذا لم تكن عربية النجار إلا إذا ألحقت برمز ينبئ عن صفتها ، معربة كانت أو دخلية ، مولدة أو محدثة ، عامية فصيحة أو غير فصيحة ، أو كانت من مصطلحات العلوم والفنون والحضارة ، أقرها المجمع أو هو فى سبيله إلى إقرارها .

رابعا : إلحاق كل لفظة تدل على بعد أو وزن أو كيل ، أو كان لها ذلك ، بما يفيد معادل قيمتها المستعمل فى العصر الحديث ، فلا يقبل من معجم حديث أن يعرِّف بردى مثلا : بأنه نهر دمشق الأعظم يخرج من قرية الزبستانى على خمسة فراسخ من دمشق مما يلى بعلبك ، ثم يعرف النيل بأنه نهر مصر والسودان .

خامسا : الالتزام بالتماثل فى التعريف بالعدلاء ؛ ففى السماء مثلا اثنا عشر برجا ، ومن المنتقد أن يجد امرؤ فى معجم حديث تفاوتا فى التعريف بها فيجد :

الأسد : أحد بروج السماء .

الجدى : برج فى السماء بجوار الدلو .

الدلو : برج من بروج السماء .

القوس : برج فى السماء هو تاسع البروج .

أما الميزان فقد سها المعجم الوسيط عن ذكره فى طبعتيه .

وفى السنة اثنا عشر شهرا ، ومن غير مقبول اليوم أن لا يجد المرء تعريفاتها متفاوتة فحسب بل يرى مع التفاوت ميلا عن الصحة أو بعدا عن الدقة منقولا من معجمات قديمة ، لم يدقق أصحابها فيما نقلوه عن غيرهم ، فيجد مثلا :

الكانون : ج (كوانين) وكانون الأول : (ديسمبر) ، وكانون الثانى (يناير) شهران فى قلب الشتاء بين تشرين الثانى وشباط ، ولا شهر بينهما ، ويسميهما العرب : شهرى قماح .

آذار : الشهر السادس من الشهور السريانية يقابله مارس من الشهور الرومية .

نيسان : الشهر السابع من شهور السنة السريانية يقابله إبريل ، وهو الشهر الرابع من شهور السنة الرومية (الميلادية) ، ونيسان فى الحقيقة هو الشهر الرابع من شهور السنة الشمسية ، عرفه البابليون باسم نيسانو NISANU وعرفه العبرانيون القدماء باسم نيس NIS وعرفه السريانيون باسم نيسون NEESON ودخل الضاد معربا بلفظة نيسان فقال البحترى مثلا :

فكأن دينا للسماء على الثرى سلفـا قديمـا حـل فى نيسـان

وقديما قال عدى بن الرقاع يصف عيرا وأتنا رعين البقل فى إبانه ثم نضبت المياه حتى تعذرت : (عليهن فى نيسان باقية الشرب) .

فنيسان رابع أشهر السنة لا سابعها ، ولفظه معرب قديما وليس كإبريل دخيلا على العربية من قرن مضى ، وقد أثبت المعجم الوسيط فى طبعته الثانية تعريفه المذكور آنفا دون أن يشير إلى حقيقة لفظه كما فعل فى تعريف شهر (ديسمبر) إذ أشار إلى أن لفظه من الدخيل .

هذا والمشرف على طباعة معجم فى القرن العشرين ، غدا يتمتع بجميع مزايا التقدم التقنى الحديث فى وسائل الطباعة المعاصرة ، فالطباعة بوساطة آلات الصف التصويرى وبإشراف الحاسب الآلى الإلكترونى توفر جهود الأفراد فى الصف والشكل ومعرفة الخطأ وسهولة استبعاده قبل الطباعة .

إن الحاسب الإلكترونى بقدرته التنبيه على أمور كثيرة يحب المسئولون عن المعجم الحديث أن لا يراها الناس فيه ، فتراهم يبادرون إلى منع ظهورها فى معجم . فهو يستطيع تحديد المواد التى وردت فيها كلمات ، تسمح القواعد المقبولة برسمها فى صورتين لتوحيد هذا الرسم فى المعجم ، مثل الأعداد المركبة مع لفظ مئة ، وداوود ، وأوكسجين .

ويستطيع الحاسب الإلكترونى أيضا تحديد المواد التى وردت فيها كلمات مثل أوروبا مرسومة بصيغة تنتهى بالألف مع تحديد المواد التى وردت فيها الكلمة نفسها منتهية بالتاء المربوطة ، ومع هذا التحديد يتمكن المسئول من اختيار أحد الرسمين .

غير أن الحاسب المذكور ، إذا كشف عن أن كلمة سورية وردت فى إحدى مواد المعجم برسم ينتهى بالألف ، يعجز عن التنبيه على أن سورية لا تحب أن ترى اسمها ، لأسباب تاريخية ، مرسوما بالألف لأن القانون فيها يلزم أطفال المدارس بكتابة اسم سورية بالتاء المربوطة ويفرض على موظفى الحكومة أن لا يكتبوا اسم الدولة إلا بالرسم الذى المرتضاه لها .

كما أن الحاسب الإلكترونى لا يستطيع تخير الرسوم والصور الجيدة التى تمثل الشىء المراد إيضاح تعريفه ، كما لا يستطيع تلقائيا أن يدون تحت الرسم نسبته إلى الحقيقة كبرا أو صغرا ، كما هى سمة المعجمات الحديثة ، إنما يمنع ذلك كله مهندس أو خبير .

إن معجم القرن العشرين اللغوى ، لا يضعه اللغويون فحسب ، إنما يصنعه العلماء فى اللغة والمتخصصون فى علوم كثيرة أخرى ، متعاونين مع أفراد يتقن الواحد منهم ضربا من الفن الذى لا بد منه لإخراج معجم يرضى أساطين اللغة وغيرهم من العلماء ، ويعجب الطلاب وسائر القراء .

إن معجم القرن العشرين لا يصنعه بالعربية ، إلا رجال يؤمنون بالفصحى ويحبونها ، يدافعون عن سلامتها ويسهرون الليالى فى خدمتها ، وكلمة صنع الضادية تتضمن معنى لا نظير له فى كلمة تقابلها فى لغات سائر الأمم ، إنها تتضمن « العمل بإجادة وإتقان ، عن ترتيب وإحكام لما تقدم العلم به ، ليوصل إلى غاية مراده منه » .
« على ما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم »

الدكتور عدنان الخطيب
عضو المجمع من سورية